﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [المؤمنون: 51]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

شأن الرّسل واحد، فكلّهم بشرٌ كما كان عيسى بشرًا

بعد أن بيّن في الآية السّابقة أنّ عيسى ﷺ بشر ممّن خلق، وأنّه على منهاج إخوانه من الرّسل في الأكل والعبادة وسائر الأحوال البشرية، زاد في هذه الآية تحقيق هذا المعنى؛ ففيه بيانٌ وبرهانٌ للضّالّين المعتقدين فيه ما لا يليق بعبدٍ من عباد الله؛ فخاطب الرّسل جميعًا ردًّا لمنكري الرّسالة، وتبكيتًا لمبتدعة الرّهبانيّة إعلامًا بأنّ شأن المرسلين واحدٌ في هذا الأمر(1).

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: (طيب) أصْلٌ يدل على الطيّب الحلال، وهو أيضًا خلاف الخبيث، والطّعام الطّيّب الذي يكون سائغًا في الحلق، ويستلذّ من يأكله، والأصل في الطّاء والياء والباء دلالته على نقيض الخبيث، والطيب "ما تستلذّه الحواسّ، وما تستلذّه النّفس، والطّعام الطَّيّب في الشّرع: ما كان متناولًا من حيث ما يجوز، ومن المكان الّذي يجوز"، ومنه الماء الطّيّب إذا كان عذبًا طاهرًا(2)، والمراد بـ﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ في الآية "المُحَلَّلات، فمِلْكُ غيرِك وإن كان مستلذًّا في الحسّ، فإنّه ليس طيّبًا لك شرعًا؛ وذلك لأنّه مُسْتَقْذَرٌ من العقل بما فيه عند تناوله بدون إذن صاحبه من التّعدّي المُستقبَح في العقل"(3)، وهذا من رحمته تعالى بعباده.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 154.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (طيب).
(3) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 353.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

نداء إلى الرّسل بالأكل من الطّيّب الحلال فهو العليم بأعمالهم الباطنة والظّاهرة

بعد أن قصّ الحقّ ﷻ قصصَ بعض الأنبياء السّابقين: كما هو الحال في شأن موسى وهارون ﷺ مع فرعون وقومه المستكبرين، ثمّ ما كان من معجزة ابن مريم وأمّه، وجعلهما آية للعالمين - عَقَّبَ هنا بندائِهِ الرُّسُلَ بأن أوصاهم أن يأكلوا من الطيّب الحلال، وأن يعملوا صالح الأعمال بفعل المأمورات وترك المنهيّات؛ لما أنعم عليهم من النّعم الجزيلة، ثمّ عقّب كلامه تحذيرًا وإنذارًا بأنّه العليم المطّلع على أعمالهم ما ظهر منها وما بطن فلا يخفى عليه شيء[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

فصل الجملة في صدر الآية:

كلام مبتدأ مع رسول الله ﷺ

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ جملة مفصولة عمّا سبقها من قول؛ فهي ابتداء كلام غير متعلّق بما قبله، موجّه إلى رسول الله ﷺ، والتّقدير: (وقلنا يا محمّد ﷺ للرّسل ﷺ أن افعلوا كذا وكذا ...) الآية[2].

دلالة التّعبير بلفظ الرّسل:

هذا المأمور به ممّا يجب عليهم تبليغه

على الرّغم من أنّ النّداء الموجّه إلى الرّسل مشتمِلٌ على إباحة الأكل من الطّيّبات، وعلى عمل الصّالحات بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾، لكن التّعبير بلفظ الرّسل فيه إشارة إلى أنّ ما نودوا به إنّما هو أمر يجب عليهم تبليغه[3]، وفي التّعبير بلفظ الرّسل علّةٌ أيضًا، وهي أنّه خطابٌ عامٌّ موَجَّهٌ إلى اتباع الرّسل جميعًا، لكنّه خصّ الرّسل هنا بالخطاب؛ لأنّهم القدوةُ والمَثَلُ للإنسانية كلّها، ولأقوامهم على وجه الخصوص[4].

(1) المراغي، تفسير المراغي: 18/ 28.
(2) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 13/ 186.
(3) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 354.
(4) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 9/ 1144.

سرّ التعبير بالمنادى جمعًا في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾:

كـلّ رسـولٍ قد أوحى الله إليه بـهـذا الـنّـداء والأمر في زمانه

جاء نداءُ الرّسل وتوجيهُهُم إلى الأكل من الطّيبات وعمل الصّالحات مجموعًا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ إذ أورد الخطاب مجموعًا؛ مع أنّهم أُرسلوا متفرّقين في أزمنة مختلفة؛ ليُعلم أنّ كلّ رسول في زمانه قد أوحى الله إليه بهذا النّداء والأمر؛ فيحصل اعتقادٌ من السامع بأنّ أمرًا نودي به الرسل جميعًا لَهوَ أمرٌ مهمٌّ حقيقٌ بأن يؤخذ ويعمل به[1].

سرّ تقديم جملة النّداء على جملة الأمر:

فـي الـتّـقـديـم اهتمام بالمأمور وهم الرّسل

في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ قدّم جملة النّداء على جملة الأمر؛ أي بتقديم الأكل من الطّيبات، على عمل الأفعال الصّالحات من فعل المأمورات، وترك المنهيّات؛ وذلك اهتمامًا بالمأمور[2].

ومن لطائف هذا التّرتيب أنّ الأعمال تتوقّف على سلامة الأبدان، فالمحافظة عليها من الواجبات، وليس من الإسلام تحريم الطّيّبات، ولا تضعيف الأبدان وتعذيبها، والميزان العدل فعل الرّسول ﷺ، وما كان عليه أصحابه رضوان الله عليهم - ففي هذا التّقديم تنبيه على أنّ طيّب الغذاء به صلاح القلب والبدن؛ فتصلح الأعمال، كما الغذاء الخبيث يفسد القلب والبدن فتفسد الأعمال[3]، كما أنّ فيه دلالةً على أنّ العمل الصّالح ينبغي فيه أن يكون مسبوقًا بأكل الحلال الطّيّب[4].

سرّ دخول ﴿مِنَ﴾ في أكل الطيّبات خاصّة:

في قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ استعمل حرف الجرّ ﴿مِنَ﴾

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 280.
(2) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 354.
(3) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 355.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 281.

الدّال على التّبعيض، وهو أحد معانيها المشتهرة في كلام العرب[1]؛ لأنّ المقصود من الأكل وهو الغذاء واللّذة يحصلان ببعض الطّيبات[2].

سرّ تخصيص خطاب الرسل جميعا بالأكل من الطيبات والعمل الصالح:

إباحة الطّيّبات شرعٌ قديم جرى عليه جميع الرّسل ولا ينافي العمل الصّالح

في خطابه للرّسل جاء التّعبير بأكل الطّيّبات، وعمل الصّالح للرّسل على وجه الخصوص؛ للإيذان بأنّ أكل الطّيّبات شرع قديم جرى عليه الرّسل جميعًا، ووصّوا به، وفيه دلالة على بطلان ما عليه الرّهابنة من رفض الطّيّبات[3]، كما أنّ الأكل من الطّيّبات لا ينافي العمل الصّالح.

علّة فصل جملة ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾:

فصل قوله تعالى: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ عمّا قبله؛ لأنّه على نيّة التّعليل، أي: اعملوا الصّالحات؛ فإنّي بما تعملون عليم، لا يخفى عليّ شيءٌ مهما صغُر، فأجازيكم على أعمالكم إن خيرًا، وإن شرًّا[4].

دلالة حرف التّوكيد في الجملة:

شأن النّفس أن تستشرف ثمرة الأكل الحلال والعمل الصّالح

"ولمّا كان المخاطب بأكل الحلال والعمل الصّالح شأنه أن تستشرف نفسه لتعيين ثمرة ذلك، جاء الخبر مؤكّدًا بإنّ"[5] في قوله تعالى: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾؛ للإشارة إلى أنّ الحقّ سبحانه يجازي عباده على ائتمارهم بأوامره، وانتهائهم عن نواهيه على وجه التّحقيق والتّوكيد؛ فتطمئنّ نفوسهم بذلك.

الغرض من تقديم الجارّ والمجرور عن الخبر:

الحصر بأعمالهم دالٌّ على التّخويف والتّحذير

قدّم الجارّ والمجرور على الخبر في قوله تعالى: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾؛ للدّلالة على الاهتمام والحصر، وعِلْمُ المولى سبحانه يشمل ما

(1) المبرد، المقتضب: 1/ 44.
(2) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 354.
(3) ابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 580.
(4) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 575.
(5) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 354.

كان وما سيكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، إلّا أنّ الحصر هنا من باب التّخويف والتّحذير، فكأنّه تعالى قد حصر علمه بما يعمل هؤلاء.

الغرض من التعبير بالكناية في قوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾:

في الإخبار عن علمه تعالى في قوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ كناية عن الجزاء؛ فإنّ علم الحقّ ﷻ مستلزمٌ لجزائه للعاملين من خلقه، أي: أنا عالم حقّ العلم بما قدمتم من عمل صالح، وسأجازيكم عن ذلك، وفي هذه الكناية عن الجزاء بالعلم وتوكيده تفخيمٌ وتعظيمٌ لذلك الجزاء، فهو جزاء العليم، وأعظِم به من جزاء[1].

علم الله مستلزمٌ لجزائه للعاملين وفي الكناية عن الجزاء بالعلم تفخيمٌ وتعظيمٌ

(1) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 354.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»